المبحث الثاني
الديمقراطية المعاصرة

* مراحل تطورها.. وأسسها.
* أنماطها.
* سماتها.
* مظاهرها.

الديمقراطية المعاصرة

كان نظام الحكم فى المدن الديمقراطية القديمة لا يعرف فكرة تمتع الأفراد بحقوقهم.. وحرياتهم، على عكس ما عليه الديمقراطيات الحديثة التي منحت حقوقاً.. وحريات أكثر للأفراد.

* الديمقراطية المعاصرة.. وأسسها [1]:

أولاً: التطور نحو الديمقراطية المعاصرة: -

مرت الديمقراطية بمراحل تطور عديدة خلال تاريخ الإنسانية فى بحثها عن نظام سياسى أفضل للإنسان, فكان النظام الديمقراطى الذى تناولناه فى الفصل السابق "الديمقراطية القديمة", والذى يفصل بينه وبين الديمقراطية المعاصرة عشرون قرناً من الزمان تقريباً مرت على العالم, وشهد فيها العالم أحداثاً كبيرة.. ومتغيرات خطيرة منها: قيام الإمبراطوريات الكبرى فى الغرب كالإمبراطورية الرومانية, وسقوط تلك الإمبراطوريات, ثم ظهور الإسلام, وقيام الدولة الإسلامية الناشئة, وازدهارها.. وقوتها وتوسعاتها حتى وصلت الفتوحات الإسلامية إلى حدود دول أوربا الآن.

* نظامي الإقطاع.. والملكية:

انتهى سلطان الدولة الرومانية, ولكن ظهر فى أوروبا نظام يعرف بنظام الإقطاع فى أوروبا, ثم حلول الأنظمة الملكية المطلقة التى استمرت حتى القرن الثامن عشر فى معظم دول أوروبا, وقد واكب هذه التطورات تطورات أيدولوجية (فكرية) وبعض التطورات الاجتماعية, والاقتصادية التى مهدت المناخ لقيام الديمقراطية المعاصرة.

---

(1) د. أحمد شوقي محمود - مبادئ النظم السياسية - كلية الحقوق - القاهرة - الخرطوم ص 57، 58، وما بعدهما.

* المسيحية والإسلام:

كان أبرز هذه التطورات هى نزول الديانتين المسيحية والإسلامية, وتعاليمهما الداعية إلى تكريم الإنسان, وحقه الطبيعى فى الحرية, وأقامتا المساواة بين البشر, وحققتا العدالة الاجتماعية, وألغتا الفوارق بين الناس, وجففتا منابع الرق والعبودية, فتخلص العبيد من سيطرة الإقطاعيين, وعاش البشر فى حب ووئام بنزول المسيحية والإسلام فكانا إعزازاً.. وإكراماً للبشرية جمعاء.

" وقد تبلورت فى القرن الثامن عشر المصادر الفكرية والتنظيمية للديمقراطية المعاصرة, تلك المصادر التى تنقسم إلى قسمين أساسين هما: أولاً: أفكار الفلاسفة, وثانياً: الثورتان: الأمريكية والفرنسية. فقد انتشر فى ذلك القرن أفكار فلاسفة عظام كان من أبرزهم: جون لوك, جان جاك روسو, ومنتسكيو, وفولتير, وهاملتون, وآدمر, وجيفرسون, وكان جماع أفكار هؤلاء الفلاسفة: هو الدعوة إلى حماية الحقوق والحريات, وتقييد سلطة الدولة, وخضوعها للقانون والفصل بين السلطات. ثم كانت ثورة الاستقلال الأمريكية ثم الثورة الفرنسية فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر, وما تبنته هاتان الثورتان من مبادئ كان انعكاساً وتطبيقاً لأفكار الفلاسفة السالف ذكرهم حيث كان أبرز ما قدمته هاتان الثورتان للديمقراطية المعاصرة: هو إرساء مبادئ سيادة الأمة والفصل بين السلطات, وحماية الحقوق والحريات الفردية، ووضع الدساتير المكتوبة" [1].

* الديمقراطية الإنجليزية:

كان لإنجلترا دورًا أساسي فى إقامة مبادئ وأسس الديمقراطية المعاصرة, ويمكننا أن نعتبر أن إنجلترا تعتبر البلد الرائد فى إقامة الحكومة الديمقراطية النيابية أو ما

(1) دكتور/ أحمد شوقى محمود - النظم السياسية - جامعة القاهرة - الخرطوم - كلية الحقوق ص57،58, وما بعدهما بتصرف.

أطلق عليه اسم " النظام النيابى" فقد كان النظام فى إنجلترا فى القرن الثانى عشر نظاماً ملكياً مطلقا, ثم شكل الملك المجلس الاستشارى من كبار رجال الدولة وكبار رجال الدين, وكان الملك هو الذى يدعو لانعقاده, وكان رأى هذا المجلس استشارياً, ثم أصبحت دعوة هذا المجلس فى المناسبات القومية الهامة, وأصبح الملك ملتزماً - حين إصدار أى تشريع - بدعوه المجلس الذى اتخذ اسم "البرلمان" أو " المجلس الكبير"؛ وفى القرن الثالث عشر أصبحت اجتماعات هذا المجلس دورية منتظمة, وزادت اختصاصاته, وأصبح يفصل فى بعض القضايا الهامة, وأهم نقطة هى أن الملك أصبح ملزماً بعرض مشروعات القوانين على البرلمان, وأصبح للبرلمان سلطة الموافقة على الضرائب التى يفرضها الملك, وأصبحت هذه الاختصاصات ثابتة للبرلمان الإنجليزي بمقتضى "وثيقة العهد الأعظم", وحدث تطور فى تكوين وتشكيل البرلمان فقد أضيف إلى الأشراف وكبار رجال الدولة نواب المقاطعات أو المدن المختلفة, ثم جاءت مرحلة أخرى فانقسم إلى مجلسين عرف الأول باسم: "مجلس اللوردات", والآخر عرف باسم "مجلس العموم" الذى يتم اختيار أعضائه عن طريق الانتخاب الشعبى, ومجلس العموم هو المجلس الذى يتولى السلطة التشريعية فى بريطانيا, وكان النموذج الإنجليزي نموذجاً يُحتذى فسارت على منواله دول كثيرة.

الديمقراطية الفرنسية:

كان للثورة الشعبية التى وقعت فى فرنسا عام 1848م أثرها فى التطور الديمقراطى.. والتشريعى, وفى القرن التاسع عشر تحول نظام التصويت المقيد إلى نظام التصويت العام, وقد انتهى هذا التطور إلى قيام الديمقراطية المعاصرة فى إنجلترا وفرنسا وأمريكا المتمثلة فى اعتبار عامة الشعب هو السلطة العليا فى الدولة مع الارتباط القوى بفكرة حماية حقوق الإنسان وسيادة الحرية.. والعدالة.. والمساواة.

أسس الديمقراطية المعاصرة:

ولتتم الفائدة يمكننا هنا أن نوضح الأسس التى على أساسها اكتملت مقومات الديمقراطية المعاصرة وهى:

1- تقرير الحقوق والواجبات.

2- عمومية المشاركة الشعبية.

3- تعدد الاتجاهات الفكرية.

4- الالتزام بقرار الأغلبية.

ويمكننا هنا أن نتناول أسس ومقومات الديمقراطية السابقة لتكون عونا لأبنائنا الطلاب حين ممارسة نشاطهم الطلابى فى برلمانهم المدرسى, وسوف نتناول أسس الديمقراطية المعاصرة كما يلى:

1- تقرير الحقوق والوجبات: وهذا الأساس لا يمكن أن تقوم الديمقراطية المعاصرة بدونه, لأنه تقرير للحقوق وحماية لها, ويتمثل فى إقامة الحرية والمساواة, ومشاركة الشعب فى إدارة شؤون الدولة.

2- عمومية المشاركة الشعبية: لتحقق الديمقراطية المعاصرة لابد من مشاركة جميع طوائف الشعب فى الحياة السياسية, ويمكن هنا أن نوضح أن التوسع الأكبر فى المشاركة الشعبية يتحقق بتقرير حق المرأة فى التصويت والترشيح,والبرلمان المدرسى فرصة جيدة لممارسة الطالبات ومشاركتهن فى الحياة السياسية من خلال برلمانهم المدرسى كما يمارسن سائر الأنشطة الأخرى.

3- تعدد الاتجاهات الفكرية: إن الديمقراطية المعاصرة تسمح بتعدد الاتجاهات الفكرية فى داخل الدولة, وإطلاق حرية الأفراد فى التعبير عن آرائهم فى جو من الحب.. والحرية.. والتسامح, وهذه التعددية الفكرية لا غنى عنها لقيام نظام ديمقراطى سليم.

4- قـرار الأغلبيــة: الالتـزام بقـرار الأغلبيـة أمـر أساسـي فـى قيـام النظـام الديمقراطى, لأن الإجماع أمر صـعب المنـال بل يتعذر غالباً الوصـول إليـه, ومن هنـا فعلـى الأقليـة أن تلتـزم بقـرار الأغلبيـة, وتنفـذه, ولكـن المهـم أن تحتـرم الأغلبيـة رأى الأقلية.

* * * * *

الديمقراطية
وممارسة الشعب للسلطة

لما كانت الديمقراطية تعنى: أن يكون الشعب هو السلطة العليا فى الدولة, فإن ذلك يدعو للتساؤل مباشرة عن كيفية ممارسة الشعب لهذه السلطة العليا؛ وفى ذلك الصدد يجرى الفقه على تقسيم الأنظمة الديمقراطية إلى ثلاثة أنماط هى:

1- الديمقراطية المباشرة.

2- الديمقراطية النيابية.

3- الديمقراطية شبه المباشرة.

ويمكننا أن نتناول هذه الأنماط كما أوردها الدكتور أحمد شوقى محمود بكلية الحقوق بالقاهرة كتقسيم يقوم على أساس الكيفية التى يمارس بها الشعب سلطته, وقد آثرنا هنا الإيجاز للتيسير على أبنائنا الطلاب لكى تعم الفائدة.

* أنماط الديمقراطية المعاصرة:

1- الديمقراطية المباشرة:

وهى التى يمارس فيها الشعب نظام الحكم بنفسه دون انتخاب أشخاص ينوبون عنه فى ممارسة تلك السلطة, ويعد هذا النظام من وجهة نظر المفكر الفرنسى "جان جاك روسو" هو التطبيق الوحيد الأمثل للديمقراطية, وهذا لأنه يرى أن السيادة الشعبية غير قابلة للإنابة أو التفويض, والشعب إن لم يمارس السلطة بنفسه فإنه يفقد سلطته وسيادته لأنه بمجرد الإنابة يفقد سلطته كلية, ولا يعبر هؤلاء النواب عنه, إنما يعبرون عن أنفسهم.. وإرادتهم.. وشخصيتهم.

2- الديمقراطية النيابية:

هذا النمط من أنماط الديمقراطية المعاصرة المراد به: أنه نظام الحكم الذى لا يقوم

فيه الشعب بممارسة السلطة بنفسه, وإنما يقتصر الشعب فيه فقط على انتخاب من ينوبون عنه فى ممارسة السلطة.

وتقوم الديمقراطية النيابية عادة على أن يتولى انتخاب أعضاء السلطة التشريعية مثل مجلس الشعب أو مجلس الشورى أو غيره من المجالس التشريعية.

وفى بعض النظم الديمقراطية النيابية يقوم الشعب بانتخاب رئيس الدولة, ويكون هذا إلى جانب انتخاب أعضاء السلطة التشريعية, كما هو الحال فى بعض الدول ذات النظام الجمهورى مثل: مصر والسودان, ولا يتحقق هذا النظام (الديمقراطية النيابية) فى دول مثل إنجلترا لأنها نظام ملكى ولكننا نجد أن بعض الدول تمنح الشعب سلطة انتخاب أعضاء السلطة القضائية أى بعض القضاة, ومن أمثلته ما نجده فى بعض الولايات الأمريكية التى تعطى الحق لساكنيها من أفراد الشعب سلطة انتخاب قضاة الولاية.

* سمات الديمقراطية النيابية وخصائصها:

تتسم الديمقراطية النيابية بعدد من الخصائص التى تميزها عن الديمقراطية المباشرة, وغير المباشرة ومن هذه الخصائص ما يلى: -

1- أن يكون هناك على الأقل مجلس تشريعى منتخب من الشعب.

2- أن تكون للمجالس التشريعية مدة ولاية محددة.

3- مهمة الشعب الانتخاب فقط, والأعضاء نيابة عنه, ولا يكون للشعب أى سلطة فى إ صدار القرارات, أو وضع سياسة الدولة بل أعضاء المجالس هم الذين يشاركون ويحددون سياسة الدولة.

3- الديمقراطية شبه المباشرة:

هى نظام وسط بين الديمقراطية المباشرة والديمقراطية النيابية فهى تقوم على انتخاب الشعب لممثليه فى ممارسة السلطة مع احتفاظ الشعب بحقه فى أن يتدخل بنفسه مباشرة لإقرار.. وتقرير بعض شؤون الدولة.

مظاهر الديمقراطية شبه المباشرة:

للديمقراطية شبه المباشرة مظاهر منها ما يلى:

1- الاعتراض الشعبى على بعض القرارات أوالقوانين أو الإجراءات.

2- الاستفتاء الشعبى: مثل الاستفتاء على الدستور أو على بعض التشريعات أو الاستفتاء السياسى على الأمور السياسية, ومنها الإجبارى والاختياري.

3- الاقتراح الشعبى كأن يقترح بعض أفراد الشعب تعديل الدستور مثلا.

4- إقالة الناخبين لنائبهم أى بمعنى إسقاط عضوية النائب, وهذا له شروطه القانونية.

5- الحل الشعبى للمجالس التشريعية المنتخبة, ويتحقق حل المجلس النيابى بأكمله بناء على موافقة الأغلبية الشعبية, ويكون هذا فى استفتاء شعبى وله شروطه.. وقوانينه المنظمة له.

هذه فكرة موجزة عن أنماط الديمقراطية.. وسماتها.. وخصائصها لتكون هذه الفكرة الموجزة عونا لأبنائى الطلاب حين ممارستهم الديمقراطية فى برلمانهم المدرسى.

* * * * *